

الأمثل في تفسير كتاب المنزل

[48] الواقع - إلى أن - الشيطان يعتبر نموذجاً كاملاً للإستكبار والكفر والعصيان. ثم انظروا إلى أين وصلت عاقبته، لذا فإن - من يتبعه - سيصير إلى نفس العاقبة. إضافة إلى ذلك، فإن - إصرار الضالين عميان القلوب على مخالفة الحق، لا يعتبر مدعاةً للعجب والدهشة، لأن - الشيطان استطاع - وفقاً لما يُستفاد من هذه الآيات - أن يغويهم بواسطة عدة طرق، وفي الواقع حقق فيهم قولته (لأغوينهم أجمعين إلا - عبادك منهم المخلصين). الآية تقول: (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا - إبليس). لقد قلنا سابقاً في نهاية الآيات الخاصة بخلق آدم (عليه السلام): إن - هذه السجدة التي أمر الله تعالى بها هي في الحقيقة نوع من الخضوع والتواضع بسبب عظمة خلق آدم (عليه السلام) وتميزه عن سائر الموجودات، أو هي سجود للخالق جل - وعلا في قبال خلقه لهذا المخلوق المتميز. قلنا هُنَا أيضاً: إن - إبليس وبرغم ذكره هُنَا - استثناءً - مع الملائكة، إلا - أن - به - بشهادة القرآن - لم يكن من الملائكة، بل كان مخلوقاً مادياً ومن الجن، وقد أصبح - في صف الملائكة بسبب عبادته - على كل حال، فقد سيطر الكبر والغرور على إبليس وتحكمت الأنانية في عقله، طناً منه - بأن - التراب والطين اللذان يعتبران مصدراً لكل الخيرات ومنبعاً للحياة أقل شأنًا وأهمية عن الذنار، لذا اعترض على الخالق جل - وعلا وقال: (قال - آسجد لمن خلقت طيناً). ولكن - عندما طرد - إلى الأبد - من حضرة الساحة الإلهية بسبب استكباره وطغيانه في مقابل أمر الله له، قال: (قال - رأيتك هذا الذي كرمت علي لئن اخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن - ذرئته إلا - قليلاً). (1) _____ 1 - ذهب المفسرين إلى إن - حرف الكاف في كلمة (أرأيتك) زائد، أو هو حرف للخطاب وقد جاء للتأكيد، وجملة (أرأيتك) بمعنى (أخبرني) جوابها محذوف وتقديرها (أخبرني عن هذا الذي كرمته علي، لم كرمته علي - وقد خلقتني من نار؟). ولكن هُنَا احتمال آخر، وهو أن - (أرأيت) هي في نفس معناها الأصلي ولا يوجد محذوف في الجملة، وبشكل عام تعطي هذا المعنى: هل لاحظت هذا الموجود الذي فضله علي، فإذا أبقيتني على قيد الحياة ستري بأزني سأضل أكثر أبنائه. (إحتمال الثاني أوفق في تركيب الآية ومعناها).